



واقع الحوار مع الغرب في ظل الإرهاب وإشكاليات الهيمنة



سالم المشهور

لقد عاش الإنسان تجربة الحروب وذاق مرارتها، وشاهد كيف أن لغة العنف لا يجني أحد منها خيراً؛ لذلك مع الوقت وبفعل تراكم التجارب نضجت أدبيات الحوار في العالم وبتنا نسمع الكل يتغنى بها، ويلصق نفسه بها وإن كان لا ينتمي إليها بوجه من الوجوه. في مقاله «إشكالية الحوار بين الحضارات والتحديات المعاصرة»، تناول أحمد الموصلي قضية الحوار مع الغرب واستفتح مقاله بمقدمة قصيرة، سلط الضوء فيها على الخلل الذي تعيشه الأمة الإسلامية، فالقرن الماضي هو قرن هزيمة للعرب وللمسلمين، فديارهم استعمرت وجُزئت جغرافية العالم الإسلامي إلى أقاليم ومناطق ودويلات «فتحوّلت تلك الحضارة الإسلامية العظيمة، والتي كان لها شؤون وشجون في مجالات الفكر والسياسة والعلوم إلى حضارة ارتدادية.

ثم مثل الكاتب على هذه النقطة بقضية سلمان رشدي وآياته الشيطانية وكيف دافع عنه الغرب. وفي مسألة الإعلام الغربي سلط الكاتب الضوء على التشويه الغربي المتعمد للعرب والمسلمين في الوعي العام، فالمسلم هو مخرب إرهابي والعربي فاسق وغادر وفوق هذا ما زال راكبا للجمال. كل هذه الأجواء والمواقف - في نظري - هي التي غدّت الجماعات المتطرفة كالقاعدة وداعش فبعد أكثر من عشر سنوات من مقال الأستاذ الموصلي وبعد كل حروب أمريكا على الإرهاب ازدادت الجماعات الأصولية المتطرفة في المنطقة وهذا دليل واضح على فشل هذه السياسات.

الإشكالية الرابعة: طغيان ثقافة الاستبداد

تناول الكاتب مسألة الاستبداد من خلال استعراض التجربة الاشتراكية في الحكم، فهو يرى أن "الاشتراكية عملت في العالم العربي على تبرير الاستبداد وقمع الوعي باسم العدالة الاجتماعية متجاهلة البعد الإنساني والاجتماعي والديني للمجتمعات العربية، فكانت التنمية عملية مشوهة وغير قادرة على تحديث أسس المعاش الاجتماعي والسياسي" وهل مع هذه الأجواء المليئة بالاستبداد يصير هناك معنى للحوار مع الآخر.

حلول ومقترحات

بقي أن أشير إلى أن الكاتب طرح في نهاية مقاله مجموعة اقتراحات من أجل تفعيل المنظومة الإسلامية وتجاوز إشكاليات الحوار مع الغرب ومنها:

العمل على تفعيل المشترك الديني والدولي والإقليمي الذي يؤسس لنظام إسلامي مشترك.

إنشاء تجمع علمي يؤسس مرجعية دينية يجمع المذاهب أو يتجاوزها، وفي رأبي هذا اقتراح غير منطقي وغير واقعي، فالإرث المذهبي بكل حملته السلبية والإيجابية هو واقع لا يمكننا تجاوزه بهذه السهولة والتشكيلات المذهبية المختلفة تحمل ثروة معرفية كبيرة وإن شابتها بعض الشوائب.

التوافق على آلية إنهاء الصراع العربي الإسرائيلي، وهذه أمنية جميلة، والصعوبة في القضية أن الكيان الصهيوني لا يؤمن بحل الدولتين والطرف العربي الشعبي لا يؤمن بشرعية وجود الكيان الصهيوني حتى وإن سمح بإقامة دولة فلسطينية عاصمتها القدس الشريف على كامل حدود ١٩٦٧.

وزرعوا في قلبه إسرائيل واستمرت الهيمنة الغربية على مقدرات الشعوب الإسلامية وأخذت أكثر من طابع، كل هذا الإرث شكل سدا مانعا يحول بين قيام حوار حقيقي وزاد تعقيد المسألة انحياز الغرب بشكل فاضح إلى الكيان الصهيوني الغاصب الذي يسيطر على أحد أقدس المقدسات. والسؤال الذي يفرض نفسه هو التالي: كيف نستطيع إقامة حوار بين الشرق والغرب في ظل رغبة الغرب في بقاء هيمنتهم الكاملة على المنطقة؟

في هذه النقطة ناقش الكاتب مفهوم صراع الحضارات الذي أدخله في القاموس الأكاديمي هنتغتون أواسط التسعينيات عندما استخدمه عنوانا لكتاب أكد فيه أن الثقافات الغربية التي تعاني الانكماش تواجه تحديات من الصين الصاعدة والصحة الإسلامية الناهضة.

مع ذلك تحدث هنتغتون أنه من المؤكد أن في وسع أمريكا تجنب صراع محتمل بين الغرب والإسلام إذا ما ابتعدت عن إسرائيل، كما يمكن للدول الإسلامية الإسهام في ذلك بتعزيز ديمقراطيتها، داعيا إلى الاختيار بين نموذج القاعدة أو إمارة دبي، وجاء كلامه هذا في ندوة عُقدت في دبي ومما قاله: "إذا تمكن أسامة بن لادن من جذب الناس إلى قضيته فإن هذه الحرب تصبح حقا صدام حضارات" وذكر أنه ينبغي على الغرب العمل على مجموعة محاور لتقليل احتمال نشوب معركة مع الإسلام، ومن ضمن تلك المحاور الحد من العمليات العسكرية الخارجية، والتباعد بينها وبين إسرائيل والتعجيل في إقامة الدولة الفلسطينية وإعادة القدس للعرب وجعلها عاصمة للدولة الفلسطينية. ويرى الكاتب أن الغرب يعي جيدا أن الوضع الفلسطيني الراهن هو أكبر عائق أمام تطور الحوار الحقيقي بينه وبين العرب، ولكن مع كل هذا ما زال مُصرًا على جعل القضية الفلسطينية معلقة!

الإشكالية الثالثة: الأصولية والإرهاب

تناول الكاتب هذه المسألة من خلال استعراضه لنظرة الإسلاميين للنظام الدولي الجديد، وكذلك دور الإعلام الغربي في تشويه صورة العرب، ففي النقطة الأولى يقول الكاتب: "النظام الدولي الجديد عند الكثير من الإسلاميين يعمل على منع الإسلام من استئناف دوره الحضاري، وهي رؤية تشكل امتداداً للحروب الصليبية والحملات الاستعمارية القديمة التي لا ترمي فقط إلى السيطرة على النفط وإعادة ترتيب أوضاع المنطقة العربية، بل تدمير الثقافة الإسلامية".

يرى الكاتب أن إشكالية الحوار العربي الإسلامي مع الغرب تتبلور في أربعة أمور:

الهيمنة الفكرية الغربية.

الهيمنة السياسية الغربية.

صعود الأصولية والإرهاب.

طغيان ثقافة الاستبداد وفقدان الثقافة الإسلامية الإيجابية.

الإشكالية الأولى: الهيمنة الفكرية الغربية

الهيمنة الفكرية الغربية من الأمور التي لا يمكن إنكار تأثيرها على الحوار بين الإسلام والغرب، فالأخير يرى نفسه هو نهاية ما وصل إليه الإنسان المتحضر من فكر وحضارة، والكاتب في مقاله تناول هذه الإشكالية معرجا على مقولة "نهاية التاريخ" التي تصاحبت وتزامنت مع صعود مقولة "النظام العالمي الجديد"، وقد حاول بعض كتاب الغرب التأصيل لمقولة "نهاية التاريخ" ومن أبرزهم فوكوياما الذي يقول: إن الديمقراطية الليبرالية قد تشكل نقطة انتهاء التطور الإيديولوجي للبشرية والشكل النهائي للحكم البشري؛ بهذا المعنى فهي إذا نهاية التاريخ".

وفوكوياما يرى أن هناك تطوراً ثابتاً للمجتمعات البشرية وقد مرت البشرية بكل المراحل حتى وصلت إلى نقطة الختام والانسداد معا "فلن يكون هناك تقدم جديد في تطوير المبادئ والمؤسسات لأن الأسئلة العظيمة قد أُجيب عنها".

فمقولة "نهاية التاريخ" هي شعار أيديولوجي رفعه الغرب بعد انتصاره على الاتحاد السوفييتي ليقدموا أنفسهم كصانع "النظام العالمي الجديد" الذي يتبنى الديمقراطية الغربية وهم لم يكتفوا بهذا بل جعلوا من قبول هذه الديمقراطية الليبرالية المدخل الأول للحوار معهم فلا حوار مع الغرب إلا بعد الاعتراف والقبول بفلسفتهم الحاكمة في عالم الاقتصاد والسياسة والقيم، وهذا أكبر تجل للهيمنة الغربية على مقدرات الشعوب، وهو برأيي أكبر عائق يحول بين حصول حوار حقيقي بين الإسلام والغرب.

الإشكالية الثانية: الهيمنة السياسية الغربية

منذ أواخر الدولة العثمانية وأجزاء كبيرة من العالم الإسلامي تخضع للهيمنة الغربية المباشرة، عن طريق الاحتلال والاستعمار والانتداب، وقبل أن تنال الشعوب الإسلامية حريتها قام الغرب بتقسيم العالم العربي وفتيته